المحاضرة الثامنة الثنائيات الديسيسورية الشهيرة

قبل الحديث عن الثنائيات اللغوية التي تنسب الى العالم اللغوي دي سوسير ينبغي أولا التعريف بهذا العالم الذي يعد المؤسس الأول لعلم اللسانيات linguistique و اهم رواد السيميولوجيا في العصر الحديث ,ولد دي سوسير سنة 1857 بمدينة جنيف السويسرية ,و قد اهتم في بداية دراساته بالعلوم الرياضية الى جانب اهتمامه بالدراسات اللغوية , و قد كان معلمه الأول بكتيه A PICTET الأثر البالغ في شدة ولوعه بالدراسات اللغوية الامر الذي جعله يهتم بدراسة اللغات القديمة و بالأخص اللغتين اليونانية و السنسكريتية إضافة الى اتقانه اللغة الفرنسية و الإنجليزية و الألمانية و اللاتينية.

و في سنة 1876 شد الرجال الى المانيا التي كانت آنذاك تشهد نشاطا لغويا مكثفا و رائدا فالتحق بحلقة اللغويين الالمان و قدم اسهامات معتبرة في ميدان الدراسات المقارنة ,و في سنة 1878 اتم مشروع البحث الذي يحمل عنوان مذكرة في النظام البدائي الصوائت في اللغات الهندو أوروبية و في سنة 1880تقدم بأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه و التي كانت تحمل عنوان استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكريتية ,و هكذا اصبح واحد من اعظم الباحثين اللسانين في جميع العصور وكانت أفكاره , التي طرحها بطريقة مبنية و مقنعة لأول مرة هي الجذور التي نبتت منها اللسانيات البنيوية الحديثة .

ابرز فرديناند دي سوسير في كتابه "محاضرات في االلسنية العامة " انها توجد مهمة أساسية لكل علم ,يجب ان تحد و تعرف في ذاتها ,و بالنسبة لعلم اللغة فان ذلك مهم بوجه خاص لان كثيرا من العلوم من جهة تعني الانسان ,و من ثم باللغة الإنسانية أيضا ,و من جهة أخرى قد بين الماضي أيضا ان علم اللغة في خطر ان تمتصه العلوم الأخرى و بخاصة علم النفس ,و علم الفلسفة ,انه يوافق على الاحتكاك بتلك العلوم المجاورة ,غير ان علم اللغة يجب ان يبدا من مواقع علم مستقل ,و يتبع ذلك ان يحدد موضوعا خاصا و ان يطور مناهج خاصة لبحثه .

ثنائيات دي سوسير الشهيرة

لقد احدث دي سوسير في دراسته للغة ثنائيات تعتبر أساس اللسانيات السوسورية , هذه الثنائيات تم اسقاطها على الأنظمة الدالة الأخرى خاصة من طرف السيميولوجي رولان بارت , الذي استلهم أفكاره من لسانيات دي سوسير , و هي مبثوثة في ثنايا محاضراته ,و فيما يلي أهمها :

1-ثنائية اللغة و اللسان / و اللسان و الكلام :

ميز دي سوسير بين اللغة langage(الكلام الإنساني), و اللغة المعينة langue (اللسان),و الكلام parole(التحدث) و يرى انه " لا ينبغي الخلط بين اللغة و اللسان ",فاللغة في نظره ظاهرة إنسانية لها اشكال كثيرة تنتج من الملكة اللغوية ,و اللسان هو جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع ,و هو اجتماعي و مكتسب , و يشكل نظاما متعارف عليه داخل جماعة إنسانية محددة ,ووفق مفهومه فاللغة هي ملكة لدى البشر و هي كلام انساني يميز الانسان عن الحيوان ,اما اللسان فهو لغة معينة (مثل العربية ,الفرنسية ,الإنجليزية ...)[1]

كما فرق فرديناند دي سوسير أيضا بين اللسان و الكلام على أساس ان اللسان (لغة معينة) شيء مستقل عن المتكلم يستعمله فينتج كلاما فرديا شخصيا ,اما الكلام فانه فعل كلامي ملموس ,و نشاط شخصي , يمكن ملاحظته من خلال كلام الافراد ,فهو الاستغلال الفردي للسان ,اذ يضفي الفرد اثناء بثه للسان مجموعة من السمات الشخصية المتميزة لهذا اصبح الكلام يختلف من فرد لاخر و ذلك حسب الحالة النفسية للشخص من فرح و حزن , ابتهاج و غيرها .

و اللسان موجود لدى الجماعة و هو شيء صوري ,كائن في الاذهان أي مجموعة من المصطلحات المتواضع عليها من طرف جماعة يشتركون فيها ,في حين ان الكلام هناك عوامل تتدخل فيه مثل جهاز النطق هيئة الجسم و الحالات النفسية المختلفة و قد يكون فرديا او جماعيا , اما اللغة المعينة (اللسان)هي مجموعة القواعد التي ينبغي لمتكلمي تلك اللغة (عربية ,فرنسية ,المانية ...) ان يلتزموا بها اذا أرادوا الاتصال بينهم فهي جل القوانين التي يلزم بها مستعملوها من اجل تحقيق التواصل فيما بينهم , لهذا تكون اللغة (اللسان) عبارة عن مجموعة من العلاقات و القوانين تحكم مجموعة من العناصر المنتظمة في تناسق .و اللسان حسب دي سوسير مؤسسة اجتماعية ,فهو ليس ظاهرة طبيعية , و انما هو مؤسسة اجتماعية ناتجة عن التواضع ,لذلك يعتبره "كنزا داخليا

---

[1] احمد مومن ,اللسانيات النشاة و التطور ,ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر ,2005,ص123

مخزنا ,قاموسا بصمات موضوعية في الدماغ و ليس في مقدور الفرد تغيره او ابداعه نتيجة قانون المواضعة ".

2-**ثنائية الدال و المدلول :**

يرى دي سوسير ان اللغة تتكون من علامات لغوية يشكلها ما سماه بالدال و المدلول ,اما الدال فهو الأصوات الإنسانية التي تخرج من الانسان بأية لغة كانت فلفظ (حمامة)هو الدال عند دي سوسير ,والمدلول فهو الصورة الذهنية التي تتشكل في الذهن اثر سماع الصوت ,فعند سماعك كلمة حمامة يتشكل في ذهنك صورة لمخلوق صغير طائر .

عرف دي سوسير الدلالة اللغوية بقوله " ان الدلالة اللغوية لا تجمع بين شيء و اسم ,و انما تجمع بين مفهوم و صورة سمعية , و هذه الأخيرة ليست هي الصوت المادي ,أي شيئا فيزيائيا خالصا , بل هي بصمة نفسية لهذا الصوت , و من ثم فان الدلالة اللغوية في نظره لا تجمع بين الشيء و الاسم , و انما هي "كل يتكون من تصور و صورة صوتية , و لا يعني بالصورة الصوتية (السمعية) الجانب الفيزيائي للصوت ,بل يقصد الأثر السيكولوجي (النفسي لهذا الصوت أي الصورة التي تصورها لنا حواسنا من خلال هذا الصوت ,سواء كان منطوقا او مكتوبا ,فالمفهوم و الصورة السمعية هما وجهان لعملة واحدة ,فهما مترابطان بشكل وثيق لا ينفصلان حيث ان المفهوم يستدعي حضور الصورة السمعية و الصورة السمعية تستدعي حضور المفهوم "[2].

فالدليل اللغوي عند دي سوسير كيان ذهني مكون من الدال (الصورة الصوتية) و مدلول (صورة ذهنية و للتوضيح اكثر نشرح عناصر الدليل اللغوي و فق ما يراه دي سوسير كالتالي :

- **الدال (le signifiant):** و يتمثل في الصورة السمعية او الصوتية , image acoustique او مجموع الأصوات المعبرة ,او اللفظ ,و لا يشترط ان يكون اللفظ منطوقا دائما فعملية التفكير أساسها قد يستدعي الانسان صورا سمعية غير منطوقة ,هي انطباعات الأصوات في النفس .
- **المدلول (le signifié):** يتمثل في الصورة الذهنية image perceptive او concept ,او ما يرتسم في الذهن بطريقة توهم في ظاهرها بالألية بحكم التكرار من جهة , و بفعل حصول التعزيز لذلك التصور من جهة ثانية .

---

[2]ماري ان بافو ,جورج اليا سرفاتي ,ترجمة محمد راضي , النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية ,المنظمة العربية للترجمة ,2012,ص117

حمامة

(الدال)

العلامة اللغوية او الدليل اللغوي : "حمامة"

يرى دي سوسير ان الدليل اللغوي يتكون من دال و مدلول و العلاقة بينهما هي علاقة اعتباطية (Arbitraire) ,و تعني في هذا السياق ان الرابط بين الصورة الذهنية و الصورة الصوتية ليس سببا , و يقصد بالاعتباطية ان العلاقة بين الدال و المدلول علاقة غير معللة بالمنطق و العقل , و قد أورد مثلا في هذا الصدد لفظ الأخت (sœur) يقول : ان معنى هذا اللفظ "ليس مرتبطا بأية علاقة قد نتخيلها موجودة داخل سلسلة أصوات لفظ (ال/أ/خ/ت) و هي أصوات اتخذت وسيلة كصوت دال ,لأنه يمكن لهذه ان تصور بأية سلسلة أخرى من الأصوات تكون دالة "[3].

و القول بالاعتباطية عند دي سوسير لا يساوي معنى " الحر " فالدال اعتباطي فقط بالنسبة للمدلول ,و عليه فالعلاقة الداخلية للدليل تصبح مفروضة على الجميع ,و ليس بإمكان احد ان يحاول التغير لا من جهة كتابة الدال خطيا , و لا من جهة طريقة نطق هذا الدال , و بالتالي فالعلاقة بين الدال و المدلول في مفهومها الأدنى , هي غياب منطق عقلي يبرر الإحالة من الدال الى المدلول ,فالرابط بين هذين الكيانين يخضع للتواضع و العرف ."

1- العلاقات التراكبية و الترابطية (الاستبدالية):

- **العلاقات التركيبية :**

تتمثل في العلاقات الافقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسة الكلامية الواحدة , كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة و كلمات الجملة الواحدة ,و تضفي كل وحدة معنى إضافيا على الكل ,و تكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى , و لا تكتسب قيمتها الا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها او تليها او معها جميعا ,و تسمى هذه الانساق الخطية تراكيب , فعند قولنا :صار الطفل صبيا ,فهناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات هي :صار +الطفل +صبيا,اما

[3] دي سوسير ,محاضرات في الالسنية العامة ,ترجمة يوسف غازي ,,مجيد نصر ,ص123

على مستوى المفردات فتتمثل العلاقة بإدماج بعض الصوامت في انساق تركيبية حسب القوانين الفنولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات اللغة نحو[4] :

الطفل ,كتابة :ا+ل+ط+ف+ل

صوتيا :ا/ط/ف/ل

و في الخطاب تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية بسبب ترابطها فيما بينها مما يستثني إمكانية لفظ عنصرين في ان واحد .

اما **العلاقات الترابطية (الاستبدالية)** فنطلقها على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية التي يمكن ان تحل محل بعضها البعض في سياق واحد , و بعبارة أخرى فانها تعكس العلاقات الموجودة في اذهاننا , مثل عبارة "قاتل المقامون الفلسطينون المحتل الصهيوني دفاعا عن ارضهم " يمكن استبدال كلمة القاتل ب "قاوم " دون ان يختل او يتغير معنى الجملة وتصبح "قاوم المقاومون الفلسطينون الاحتلال الصهيوني دفاعا عن ارضهم ".

4-**الانية و التاريخية** :

يفرق دي سوسير بين اللسانيات الانية و اللسانيات التاريخية , و يتمثل غرض االلسنية التزامنية العام في تشديد المبادئ الأساسية لكل منظومة لغوية , أي العوامل التكوينية لكل حالة لغوية , و يعني بذلك وصف اللغة في حالة ثبوت ,او في نقطة معينة من الزمن , اما التزامنية فهي الدراسة التي تجري عبر مراحل زمنية متتالية [5], و تتمثل في التعقب التاريخي للغة او رصد التطورات الصوتية او التركيبية او الدلالية التي تحدث في لغة معينة .

يرى دي سوسير في دراسة اللغة من خلال الكلام خطوة تحيلنا حتما الى الدخول في عالمها الداخلي , و التحديق فيها من الداخل تحديقا يعني معرفتنا بالنظام اللغوي [6],فالدراسة اللغوية هنا هي الاهتمام بالبنية اللغوية أي النظر الى اللغة في ذاتها و الى العناصر و العلاقات الداخلية التي تؤلف النظام اللغوي ,و يشبه دي سوسير اللغة بلعبة الشطرنج , فحسبه نقل هذه اللعبة من بلد فارس الى أوروبا او استبدال قطعها الخشبية بقطع من العاج لا يغير من الامر شيئا ,لأنها عوامل خارجة عن نظام اللعبة ,اما الانقاص او الزيادة في القطع فيغير الشيء الكثير لأنه يمس قواعد اللعبة .

---

[4]عبيدة صبطي ,نجيب بخوش ,مدخل الى السيميولوجيا ,مرجع سبق ذكره ,ص47

[5]احمد محمد قدور ,مبادئ فياللسانيات ,ط1,دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ,سوريا ,1996,ص19

[6]إبراهيم خليل , في اللسانيات و نحو النص ,ط3,دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ,2015ص17